تداولية أفعال الكلام في قصيدة لن أبكي للشاعرة فدوى طوقان

Pragmatics of speech acts in Fadwa Toukan's poem I Will not Cry

د. زغدي محمد الصالح

قسم اللغة و الأدب العربي - جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي (الجزائر)

mohamedsalahzeghdi@yahoo.com

تاريخ الإيداع: 2019/11/30 تاريخ القبول: 2020/03/11

ملخص:

التداولية اتجاه لساني يركز على دراسة الكلام، و الكلام نشاط فردي ينجزه المتكلم في مقامات تواصلية مختلفة، لتحقيق الغايات و الأغراض، كما تركز على دراسة المعنى في سياق الاستعمال، و ما يحيط به من ظروف ولابساة.

و في هذا المقال، سأحاول تقديم مقاربة تداولية، فيها سأتطرق إلى جهود كل من أوستين و سيرل في مجال أفعال الكلام ثم سأطبق نظرية أفعال الكلام وفق تقسيم سيرل الخماسي الذي يبدأ بأفعال الإثبات ثم التوجيه ثم الوعد و التعبيريات و الإعلانيات على الخطاب الشعري المعنون ب لن أبكي للشاعرة الفلسطينية فدوى طوقان و أخلص إلى خاتمة ألخص فيها نتائج البحث

الكلمات المفتاحية: التداولية، أفعال الكلام، الخطاب، القول، الأثر.

Abstract

Pragmatics is a linguistic orientation that focuses on the study of speech. Speech is an individual activity that the speaker performs in different communicative circumstances to achieve goals and purposes. It also focuses on studying the meaning in the context of use, and the surrounding circumstances. I will try to present a pragmatic approach, in which I will address the efforts of both Austin and Searle in the field of speech acts, then I will apply Speech Acts Theory according to Searle's quintuple division that begins with proof actions, then guidance, then promises, expressions, and declarations on the poetic discourse titled I Will Not Cry by the Palestinian poet Fadwa Toukan. Finally, I conclude with results of the search.

Keywords: pragmatics, speech acts, discourse, utterance, impact.

1. تمهيد:

-اللسانيات حقل معرفي ، يدرس اللغة بمستوياتها المتعددة ، للكشف عن الظواهر التي تميز هذه اللغة عن غيرها ، و من بين أنواعها ، اللسانيات التداولية التي تهتم بالكشف عن الفعل الكامن في القول عندما تتحول أقوالنا إلى أفعال في نظرية أفعال الكلام .

هذه النظرية سأحاول تطبيقها على الخطاب الشعري الحديث عند الشاعرة الفلسطينية فدوى طوقان باعتباره نصا يحمل أقوال قد تتحول إلى أفعال ، كما يحمل تحليله الكثير من العلامات التواصلية : "و لن يكتمل تفسير الأدب إلا بتفسير استعماله لوسائل التواصل المتاحة بصفة عامة ، و لذا كانت هناك التداولية الأدبية"1 التي تربط بين فهم الأدب و ربطه بالوسائل التواصلية لتحقيق الأغراض و الغايات ، و ترمي التداولية الأدبية إلى محاولة الجمع بين الحركة داخل العمل الأدبي و الحركة نحو داخل النص لتحديد وسائل فنية تداولية ، و التي منها نقيم العلاقة بين هذه العناصر و بقية الوسائل الموجودة خارج النص في عالم الكاتب و القارئ ، مثل التقاليد الثقافية و التفاعلات التداولية2 ، و هذا ما يحثنا على البحث عن دور الكاتب و هو ينتج الخطاب ، و دور القارئ و هو يحلل أجزاء هذا الخطاب و يربط الأقوال بالأفعال.

لا شك أن أي تحليل نصي يغفل التماسك اللفظي و علاقته بالجانب التداولي ، فهو تحليل غير مكتمل ، و نظرا لأهمية هذا المستوى رأى بعض الباحثين أن الخطاب ظاهرة تداولية و القول وحدة تداولية لا غير3. من هنا يتجلى لنا أن القيمة الفعلية للخطاب هي تحقيق الجانب التداولي ، و يتجلى ذلك في الاستعمال الفعلي للمسافة اللفظية في مقامات تواصلية ترمي إلى تحقيق الفهم و الإفهام بين طرفي العملية التواصلية ألا و هما المتكلم و السامع في مواقف تواصلية محددة ، تحمل موضوعات متنوعة للخطاب ، و عليه فإن المهمة الرئيسة للنظرية التداولية هي أن تحول هذه الموضوعات إلى أفعال منجزة 4 عن طريق القول ، و بالتالي فعندما نتكلم فإننا نمارس أفعالا و ننجزها عبر هذه الأقوال.

و لا ينبغي أن نغفل "أن الفكرة الأساسية في التداولية هي أننا عندما نكون في حال التكلم في بعض السياقات، فنحن نقوم أيضا بانجاز بعض الأفعال المجتمعية ، و أغراضنا و مقاصدنا من هذه الأفعال حيث تتغير صورة معرفة المخاطب تبعا لأغراض المتكلم 5. وعليه فنحن عندما ننصح فإننا نريد أن يعلم المخاطب بأننا نقدم له نصيحة، و هذه المعرفة هي ثمرة التأويل الصحيح لقوة فعل القول، و ما دمنا أمام نص شعري ؛ نحاول إبراز الجانب التداولي فيه، فإننا

سنركز في هذه المقاربة على الأفعال الكلامية التي تحتوي انجازا فعليا في النص أو في الخطاب الشعري عند الشاعرة فدوى طوقان و المعنون (لن أبكي)، و يفرض التحليل التداولي لهذا النص طرح الإشكالات التالية : ما طبيعة الإنجاز في هذا النص الشعري؟ و إذا كان الخطاب الشعري الحداثي فعلا إنجازيا، فإلى أي حد حقق التأثير؟ و هل الفعل القولي يتضمن ظاهرا فقط، أم أن له باطنا كذلك؟ و إلى أي مدى تحققت الأفعال الكلامية في هذا الخطاب الشعري؟

2. **أفعال الكلام و جهود أوستين و سيرل:**

تتصل الأفعال الكلامية بالأقوال الصادرة في مواقف تواصلية لغاية التأثير و التفاعل بين أطراف العملية التواصلية، في مقامات متنوعة، و الشاعر هو أساس التواصل في الخطاب الأدبي الذي يجمعه بالسامع أو القارئ، و هذا ما نجده عند أوستين في كتابه (نظرية أفعال الكلام العامة) الذي يعد الانطلاقة الفعلية للنظرية التداولية، و التي لا يهمنا في هذا المقام بسطها بقدر ما يهمنا تطبيق آلية من آلياتها على الخطاب الشعري الحديث.

و المتأمل للتداولية يرى أن سيرل يقدم الخطاب التخييلي بوصفه عملا لغويا غير مباشر ، و بالتالي فإن الأعمال الأدبية "ضرب من الاستعارة القصوى ، فدلالته تتجاوز الملفوظ ذاته و ترتكز على مواضعات مضمرة خاصة ، و على عقد واقع بين الكاتب و القارئ، إنها طريقة مخصوصة في اللعب مع العلامة " 6 ، هذه العلامة اللغوية ، لا تحصر اللغة في مجرد نقل المعلومات ، بل تتعداها إلى تحديد العلاقات بين العناصر المتخاطبة ، و تحدد درجة التأثير و التأثر و لا تعد أقوالا فحسب ، و إنما هي أفعال مؤثرة عن طريق التفاعل .

فبعد أن كانت الفلسفة الوضعية المنطقية تشترط مقياسا واحدا للحكم على دلالة جملة ما ، و هو مقياس الصدق و الكذب ، فيحكم على صدق الجملة الخبرية بمدى مطابقتها للواقع ، نحو: الجو معتدل ، صادقة في حالة اعتدال الجو ، و كاذبة إذا خالفت ذلك ، و أن وظيفة اللغة هي الوصف، ليأتي العالم أوستين و يتصدى لهذه الفكرة من خلال محاضراته بجامعة هارفارد سنة 1955 ، حيث نبه إلى أن دلالة الجملة في اللغة العادية ليست بالضرورة إخبار ، و هي ليست مقيدة دائما بأن تحمل على واقع فتحتمل الصدق أو الكذب ، وأن القصد من الكلام هو تبادل المعلومات و القيام بأفعال خاضعة لقواعد التواصل ، ينتج عنها تغيير في وضع المتلقي و التأثير في مواقعه 7 و إلى جانب هذا النوع من الجمل الخبرية يوجد نوع آخر من العبارات الإنجازية التي تتضمن القيام بالفعل أو النهي عنه ، و تتميز بمجرد تلفظها ينجز الحدث ، و من خصائصها أنها "لا تصف واقعا خارجيا و لا تعينه و لا تحيل عليه مع أنها جملة خبرية 8" نحو: ألتزم بالحضور باكرا ، و أعدك بالزيارة في الأسبوع القادم فهذه الأفعال لا يمكن وصفها

بالصدق أو الكذب، و إنما هي أفعال منجزة من المتكلم و هي محكومة بالتلفظ و هو الذي يسبب إنجازها . و قد ميز أوستين بين ثلاثة أنواع من أفعال الكلام و هي : 9

- **فعل قولي** Locutior : يقابل التلفظ بالأصوات ، و هو فعل صوتي و بالتراكيب (فعل تركيبي) و استعمال التراكيب حسب الدلالة (فعل دلالي).
- **فعل إنجازي** illocutoir : يحصل بالتعبير عن قصد المتكلم من آدائه (يعد ، يخبر ، يعجب) و يضم الجانب التبليغي و الجانب التطبيقي.
- **فعل تأثيري** : و يحدث عندما يلقى الفعل الإنجازي على المتلقي ، كأن يرعبه فينفعل ، و تتميز هذه الأفعال بقوة إنجازية تفترض تزامنا تاما بين موضوع الملفوظية و التلفظ

3. **تداولية أفعال الكلام في الخطاب الشعري:**

قسم سيرل أفعال الكلام إلى خمسة أفعال هي :

أ. **الأفعال الدالة على الإثبات(الإخباريات)**Asertives : و هي التي تصف الوقائع و الأحداث في العالم الخارجي و تنقل نقلا أمينا 10 ، و فيها يتم نقل الحقائق عن طريق الوصف و التقرير و التأكيد .

و أفعال هذا الصنف كله تحتمل الصدق و الكذب ، و اتجاه المطابقة فيه من الكلمات إلى العالم ، و يتضمن هذا الصنف أفعال الإيضاح عند أوستين ، و الحالة النفسية التي يعبر عنها هي الاعتقاد 11

و في هذا الصنف ، تشرع الشاعرة فدوى طوقان بنقل طائفة من التجارب التي عاشها الشعب الفلسطيني ، و هو يعاني الظروف الخانقة تحت وطأة الإستعمار الصهيوني و إذا تتبعنا قصيدتها (لن أبكي) يظهر تدريجيا ، إذ تقول12 :

على أبواب يافا يا أحبائي

و في فوضى حطام الدور

بين الردم و الشوك

فالبنية الخطابية لهذه الأسطر ، نشأت في أحضانها العملية التواصلية بين المتكلم و السامع لأن الشاعرة ترمي إلى زيادة الوصف و التقرير ، و إلى حمل المتلقي إلى قول ما يسمع و تبنيه و التعاطف معه بعد تبادل عمليتي التأثير و التأثر . و قد بدأت الشاعرة قصيدتها بقولها : على أبواب يافا يا أحبائي و التي فيها تقرر عودتها إلى مدينة يافا المحتلة ، و قد وقفت على حجم الدمار الذي حل بالمدينة فتقول : في فوضى حطام الدور ، بين الردم و الشوك، و هي تكشف ما

حل بالديار الفلسطينية من دمار و خراب و فوضى ، و ما تقترفه أيادي الغدر المحتلة من تزييف و مسخ و إخفاء و ردم لكل ما يحمل من هوية للإنسان الفلسطيني.

ما يلاحظ في هذه المدونة ، استخدام الشاعرة للتكرار قصد تقوية المعنى و تأكيدها على البقاء عندما تقول 13 :

تنادي من بناها الدار

و تنعى من بناها الدار

و أن القلب منسحق

و قال القلب ما فعلت

بك الأيام يا دار ...

فأفعال القول في هذه الأسطر (تنادي ، تنعى ، بناها ، منسحق ، قال ، فعلت) تتضمن قوة متضمنة في القول و هي تصور واقع الديار البائسة أما الفعل التأثيري الذي يعد مؤشرا للوقوف على سلامة الرسالة و وصولها إلى المتلقي ، أو سلامة الفعل الإنجازي 14 و التي كانت غايتها حمل المتلقي العربي على التضامن مع الفلسطيني و الشعور بالإحساس نفسه الذي يحسه صاحب الأرض عندما وقف على آثار الديار بعد ما حل بها ما حل من خراب .

و قد استعملت الشاعرة التكرار قصد تقوية المعنى للوصول إلى تصوير حجم المأساة فوق الأرض ، من خلال استخدامها لصيغة اسم الفاعل (منسحق ، و القاطنون) في قولها 15 : و أن القلب منسحق ، و أين القاطنون هنا ، ففعل قول في السطر الأول منسحق يتضمن قوة متضمنة في القول و هي القدرة على تحمل الآلام النفسية و الصبر على ذلك ، أما الفعل التأثيري الذي يعد فرصة للوقوف على سلامة وصول الرسالة أو سلامة الفعل الإنجازي كانت غايتها كشف المعاناة التي يعيشها الشعب الفلسطيني ، أما اسم الفاعل الثاني (القاطنون) و هو فعل القول الذي يتضمن قوة متضمنة في القول، و هي التأكيد على الأصول و الجذور فوق الأرض ، أما الفعل التأثيري فكانت غايتها كشف جرائم الاستعمار و سياساته العدوانية التي من بينها مارة التهجير و إخلاء الديار العامرة بأهلها في ما مضى فصارت بعد الجريمة مقفرة و خالية. ما يلاحظ في هذه المدونة إكثار الشاعرة من توظيف التكرار لتقوية المعنى و إثبات صفة البقاء للحق فوق هذه الأرض التي نبت فيها و ترعرع كما في قولها 16:

هنا كانوا ... هنا حلموا ... هنا رسموا ...

مشاريع الغد الآتي .

و قد حمل هذا التكرار الشعور بالانتماء إلى هذا الوطن ، الذي غودر و هجر ، لا عن طريق الرضا و إنما عن طريق القهر و التعسف و الظلم ، فهي تؤكد هذه الحقائق التي تتضمن قوة

في القول و هي أنهم جزء من بلادهم ، و قد أكدت هذا عن طريق الظرف (هنا) المتكرر و الذي يشير إلى القرب المعنوي و الحسي عند المواطن حيال وطنه .

و في الفعل التأثيري تأكيد على التمسك بهذا العزيز الغالي ، كجزء ضم وجودهم و أحلامهم و ما رسموه من مشاريع تنتظر التنفيذ و تشييد الغد الآتي ، كما تحمل الأمل إلى مستقبل زاهر بالتخطيط و تحقيق الأحلام.

ب. **أفعال التوجيه (التوجيهات) Directives** : و هي أفعال "غرضها إنجاز محاولة المتكلم توجيه المخاطب إلى فعل شيء ما (الغرض الأمري الطلب) و اتجاه المطابقة من العالم إلى الكلمات ، و شرط الإخلاص فيها في الإرادة و الرغبة الصادقة" [17] ، و يدخل في هذا النوع الأمر و الاستفهام و الرجاء و الاستعطاف و التشجيع و الدعوة و الإذن و النصح ، و قد اعتمدت الشاعرة في خطابها الشعري على أفعالها التوجيهية التي حملت في طياتها الإثبات و التقرير و الحجاج من أجل إقناع المتلقي بما يجب الاقتناع به ، و هو أن فلسطين أرض عربية ملك للفلسطينيين و أنهم مقاومون باقون على العهد في قولها :[18] *فكيف الجرح يسحقني؟*

وكيف اليأس يسحقني؟

وكيف أمامكم أبكي؟

يمينا ، بعد هذا اليوم لن أبكي !

فالجمل الإنشائية الواردة في الأسطر ، تحمل قوة إنجازية عرضها بقوة الاستفهام (كيف) و يمكن تحديد قيمتها عن طريق ربطها بظروف السياق ، فهذا الفعل الكلامي الحامل لثلاثة أفعال ؛ فالأول لفظي يقر بنصر اليهود في المعركة و هزيمة العرب، باعتبار أن الحرب نصر و هزيمة، و الفعل الثاني إنجازي يحمل الإنكار و الرفض لما هو واقع من جرائم بشعة في حق فلسطين ، أما الفعل الثالث و يكمن في أثر فعل القول في المتلقي فهو الرفض للخضوع أمام الطغاة (كيف أبكي؟ لن أبكي) فهي تريد أن تؤكد أن ما وقع هو جولة ستتبعها جولة و جولات ثم تتوجه الشاعرة إلى العدو فتقول: [19]

وقفت و قلت للعينين.

قفا نبك

على أطلال من رحلوا و فاتوها

فالقوة الإنجازية التي يتضمنها القول ، عرضت بقوة الأمر ليحقق فعلا إنجازيا هو الطلب ، فهي تدعو -بعد الوقوف- عينها إلى تفحص الديار التي تحولت إلى أطلال بالية و إلى البكاء على من تركها و رحل إلى بقاع أخرى ، و كأن الصورة تتكرر عبر الزمن، مع الشاعر القديم في

الجاهلية عندما يقف و يستوقف أصحابه أمام الأطلال التي تحمل قصة الأمس المزهر السعيد و كيف تحول إلى شحوب و أفول ، فكذلك الدار عند الشاعرة الفلسطينية تحولت إلى أطلال بعد أن كانت عامرة بأهلها ، أما الفعل التأثيري فهو ما حمله الطلب من تفجع و تحذير على حال الدار و ما آلت إليه، كما يحمل دعوة إلى إعمارها و إصلاحها .

و تتسارع الأحداث و تتصاعد لهجة الخطاب الطلبي عند الشاعر فتقول: 20

و هب الشهر منتفضا وراء النهر

أصيخوا ، ها حصان الشعب

يصهل واثق النهمة

و تهتف بالحصان الحر ، عدوا يا حصان الشعب

فأنت الرمز و البيرق ،

تستخدم الشاعرة الفعل الإنجازي المعروض بقوة الأمر ليحقق فعلا إنجازيا ، هو الطلب، في قولها: (أصيخوا، و عدوا) الذي يحمل يقظة الشعب من سباته، و قد تحول إلى حصان جامح يعدو بكل قوة نحو تحقيق الهدف، و كسر القيود، عند تحوله إلى رمز ، و إلى بيرق، يقاوم قوى الشر و الاستعباد . أما الفعل التأثيري؛ فهو أن الهدوء لن يدوم و أن الصمت سيتحول يوما إلى صخب و ضجيج ، و حركة تبشر بميلاد الحرية، و تحول الأقوال إلى أفعال في ساحة المعركة.

ج.أفعال الوعد (الالتزاميات) conimmissives:

و تعرف بأنها "أفعال يلتزم بها المتكلم طوعا بفعل شيء ما للمخاطب في الحاضر أو المستقبل مع إخلاص النية و القصد و عزمه على الوفاء بذلك ، و منها أفعال الوعد المعاهدة ، الضمان و الإنذار" 21 و فيه يعد المنطوق "قبول المتكلم بالالتزام حيال المخاطب بتنفيذ ما وعد به" 22 و فيه يكون المتكلم صاحب الوعد و الوعيد حيال من يخاطب. و سنحاول في هذا المقام عرض الأفعال الكلامية التي تحقق الوعد في قصيدة (لن أبكي) لفدوى طوقان ، حيث تقول: 23

و نحن وراءه الفيلق

ولن يرتد فينا المد و الغليان و الغضب

ولن ينداح في الميدان

فوق جباهنا التعب

ولن نرتاح، لن نرتاح

حتى نطرد الأشباح و الغربان و الظلمة،

إذا تتبعنا الأفعال التوجيهية في هذه المدونة، نجد أن الوعيد يحمل قبول المتكلم ، الإلتزام حيال المخاطب، بتنفيذ ما وعد به في المستقبل ، ففي حالة الوعد يجب أن يدل المحتوى الموضوعي ؛ إذ لا يعقل أن يعد المرء بأفعال وقعت في الماضي ، و لابد للمتكلم أن يعد دائما باسمه، و هذا الوعيد يحمل التحدي و الإصرار في بعض مواطن الخطاب، و في مواطن أخرى كان مصحوبا بالتهديد، ما لاحظناه في الأسطر المذكورة سابقا، أن الأفعال الإنجازية عرضت بقوة النفي الذي تحقق بالحرف (لن) للدلالة على التحدي و الصمود ، فالشاعرة فدوى تستخدم ضمير الجمع (نحن) الذي يوحي بالاشتراك و قدرة المتكلمين ، -و هي منهم- على إنجازها و هو القيام بشكل منظم كنظام الجنود و العساكر في وجه العدو ومواجهته ، فالزمن يخبئ لهم الهلاك على يد الشعب و كسر الظلم و الطغيان كما استخدمت الحرف (لن) مع الفعل المضارع الحامل لرسائل الوعيد و القصاص، عندما تنفي ارتداد مد الغليان و الغضب الشعبي الجارف للعدو ، و تنفي نفيا قاطعا أن تنداح و يرتاح فوق جباههم التعب، كما يأتي النفي مكررا في قولها : (لن نرتاح، لن نرتاح) الذي يحمل التأكيد و الصمود على العهد، إلى غاية منشودة تتحقق عن طريق حرف العطف (حتى) الذي يحمل البشرى للشاعرة و شعبها؛ و هي طرد الأشباح و الغربان و الظلمة (العدو) و كلها أوصاف في منتهى البشاعة تليق بهذا المستدمر الغاشم.

إن الوظائف اللسانية الثاوية خلف هذه الأفعال تدل على التهديد و الوعيد و الزمن كفيل بحمل رسائل الانتقام من العدو الصهيوني الجاثم فوق الأرض يسوم أهلها سوء العذاب، و في هذا بشارة بالغد المشرق الحامل للثورة و الحرية.

و يتواصل التدفق الشعوري عند الشاعرة الغاضبة و هي تتقدم بخطى ثابتة نحو التحدي و الشموخ حيث تقول: 24

و أزرع مثلكم قدمي في وطني

و في أرضي

و أزرع مثلكم عيني

في درب السنى و الشمس .

يتكرر الفعل أزرع ، و هو فعل إخباري ، يمكن حمله على محمل الأفعال الإنجازية، أي إخراجها من تصنيفها الطبيعي إلى مجال التأويل و ذلك بتطور الدلالة من الإخبار إلى الوعيد، و هو المعنى المتضمن في القول خاصة إذا راعينا السياق في تحليل الفعل الكلامي لنأخذ وجهة نظر (فان دايك) "بأنه لا توجد فائدة في التكلم عن ضروب إنجاز قوى أفعال الكلام خارجا عن السياق المحدد تحديدا اجتماعيا" 25 و في السطور السابقة نجد عمليات الزرع مستمرة في

أرضها و في وطنها ، كما تزرع عينيها في الدروب المضيئة إلى حيث اندحار العدو ، و إشراق شمس الحرية على الوطن ، إنه الأمل الأكيد القادم، الذي يبدأ بالزرع و ينتهي بالحصاد

د. التعبيريات Expressives: و تعرف بأن "أفعال الكلام التعبيرية كل الأساليب و العبارات التي يعبر بها المتكلم عن مشاعره، من رضا و حزن و غضب و سرور، و نجاح و فشل... كما تتعدى ذلك لتشمل ما يظهر في بنية الخطاب مما يحدث للمشاركين في الفعل و وقعه عليهم أثناء أفعال الشكر و التهنئة و الاعتذار و الشكوى" [26] من هنا كان الشعر مرآة تعبر عن الموقف النفسي للشاعر و هو يتفاعل مع الوسط الذي يعيش فيه، أما الأفعال التعبيرية المرتبطة بالمتكلم فمنها في قصيدة لن أبكي قولها: [27]

و كان ... و كان

و غص القلب بالأحزان

تحمل الأفعال التعبيرية (كان، غص بالأحزان) في تراكيب تحمل مضامين عاطفية ، يغلب عليها الحزن المسيطر على الشاعرة ، و هي ترى الغريب يأمر و ينهى و يتحول صاحب الأرض إلى غريب لا حق له ، عندئذ يمتلئ القلب بالأحزان و تنمو في داخله مشاعر الألم، ثم تعود مرة أخرى لتخاطب أحباءها في الوطن [28]

أحبائي

مسحت عن الجفون ضبابة الدمع الرمادية

لألقاكم ، و في عيني نور الحب و الإيمان

بكم، بالأرض ، بالإنسان

في هذه الأسطر المترعة بعواطف الشاعرة و هي تناديهم أحبائي لتستخدم جملة من الأفعال التعبيرية (مسحت، لألقاكم) و تعابير أخرى منها : (نور الحب، الإيمان ، الأرض ، الإنسان) و كلها تعبر عن أسمى مشاعر الحب و الإخلاص و الإيمان لما يطمح إليه الشعب و هو مشدود إلى أرضه ، و إلى رابط الإنسانية الذي يجمعه ببني جنسه و تواصل الشاعرة التعبير عن مشاعرها فتقول: [29]

فواخجلي لو أني جئت ألقاكم

و جفني راعش مبلول

و قلبي يائس مخذول.

تسهم مجموعة من الصيغ اللغوية في الإفصاح عن مشاعر الشاعرة عندما تبدأ هذه الأسطر بنداء الندبة، و هو نداء خاص يحمل التفجع و التألم حيال ما حل بها، ليظهر على محياها الخجل مما آل إليه حالها في اللقاء، عندما تظهر بجفون مبللة بالدمع، و بقلب مترع باليأس و

الخذلان، فتجد ضالتها في صيغتي اسم الفاعل (راعش، يائس) و اسم المفعول (مبلول، مخذول) و هما ينقلان لنا مشاعر الحيرة و الخجل و البكاء و اليأس و الخذلان، أفعال تعبيرية تنقل لنا بصدق و إخلاص المواجع و التفجع الذي تنقله الشاعرة إلى المتلقي و هي تصور المأساة الكبيرة للشعب الفلسطيني.

هـ. **الإعلانيات Declarations**: و هي التي "تحدد دلالتها بمجرد النطق بها، حيث يكون إيقاع الفعل فيها موحيا بالدلالة المقصودة في الوجود" 30 و من الأفعال اللغوية التي لها وظيفة الإعلان على سبيل المثال نذكر "الوصية و الشهادة و التوكيل و الإقرار و الشكر ، و هي كلها أفعال مرتبطة بمؤسسات اجتماعية معينة، و من شروطها نسبتها إلى المتكلم ، و الفعل يكون في زمن الحاضر أو المستقبل، و يكون موجها للمخاطب" 31، و من أمثلة ذلك في قصيدة فدوى طوقان ما يلي 32

و ها أنا أحبائي

إلى يدكم أمد يدي

و عند رؤوسكم ألقي هنا رأسي

و أرفع جبهتي معكم إلى الشمس

حينما نتأمل هذه السطور ، نجد أن الشاعرة فدوى ترمي إلى تحقيق واقع جديد، مغاير لما مضى و أفضل و لذا بعد أن تشد انتباه أحبائها ،تعلن القيام بمجموعة من الأفعال الكلامية تبدأها بمد يديها إلى أيادي أحبائها، و تثنيها بإلقاء رأسها عند رؤوسهم، ثم ترفع جبهتها معهم إلى الشمس، في عمل يرمي إلى الوحدة، و إلى المصير المشترك، و السير قدما نحو تحقيق النصر. إن هذا الإعلان تحقق عن طريق أفعال مضارعة تمثلت في (أمد، ألقي، أرفع) و التي تدل على الحال و الاستقبال ، و مسندة إلى ضمير المتكلم (أنا) ،كما احتوى على نبرة خطابية موجهة إلى أبناء الشعب من أحبائها تقول لهم عليكم إدراك حقيقة وضعكم المشتت، و أن الخلاص يكمن في الاتحاد و الثبات حتى تحقيق الهدف المنشود

خاتمة: و بعد هذه الرحلة في عالم النص الشعري الحداثي، للشاعرة الفلسطينية فدوى طوقان، و هي تعبر عن مشاعرها الفياضة حيال القضية الفلسطينية، و هي المعنية الأولى بذلك، نفرغ إلى الوصول إلى أحكام نبدأها بنظرتها الاستشرافية لواقع جديد أفضل لشعبها المحتل، و هي من يحمل شعار التحدي و النضال .

و في الأخير و بعد تحليلنا لهذا الخطاب، نلاحظ أن القصيدة فعل لغوي مركزي قائم على تعدد الأفعال، و أن السياق هو الذي يفسر هذه الأفعال الكلامية و ما تحمله من أغراض و مقاصد، وقفنا عليها مبثوثة في هذا النموذج الشعري، و بذلك نقر بصلاحية المنهج التداولي في تناول

النص الشعري ، و اكتشاف ما يحويه من قيم و أقوال تتحول فيما بعد إلى أفعال، تكون قادرة على تغيير الواقع و نقله من وضع إلى آخر ، بحسب ما يدعو إليه الخطاب.

الهوامش:

1. إبراهيم محمد عبد الله مفتاح، التماسك النصي للاستخدام اللغوي في شعر الخنساء، عالم الكتب الحديث ، الأردن ، ط1 ، 2015م ، ص207.
2. ينظر: محمد عناني، معجم المصطلحات الأدبية الحديثة ،الشركة المصرية العالمية للنشر ، لونجمان، مصر ، 2003م ، ص77 .
3. ينظر: آن روبون ، جاك موشلير، التداولية اليوم ، علم جديد في التواصل، تر: سيف الدين دغوس و محمد الشيباني ، دار الطليعة للطباعة و النشر، لبنان ، ط1 ، 2003م ،ص2015 .
4. فان دايك، النص و السياق، تر: عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، المغرب ، 2013م ،ص327 .
5. إبراهيم محمد عبد الله مفتاح ، التماسك النصي للاستخدام اللغوي في شعر الخنساء، ص208.
6. فيليب بلانشيه ، التداولية من اوستين إلى غوفمان ، تر: صابر الحباشة، دار الحوار للنشر و التوزيع، سوريا ، ط1 ، 2007م ،ص194.
7. ينظر: خليفة بوجادي، اللسانيات التداولية ، محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة للنشر و التوزيع، الجزائر ، ط1 ،2009م، ص90.
8. المرجع نفسه ،ص91.
9. ينظر: المرجع نفسه ،ص96 . 97.
10. رحيمة شيتر ، تداولية النص الشعري، جمهرة أشعار العرب أنموذجا ، رسالة دكتوراه مخطوطة ، جامعة الحاج لخضر ، باتنة الجزائر،2009/2008 ، ص151.
11. ينظر: محمود أحمد نحلة ، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ، مصر ، دط ، 2002م ، ص78.
12. فدوى طوقان، الديوان، دار العودة ، بيروت ، لبنان، 1984م ، ص511 .
13. المصدر نفسه، ص511.
14. رحيمة شيتر ، تداولية النص الشعري، جمهرة أشعار العرب أنموذجا ، ص151
15. فدوى طوقان، ديوان ، ص512.
16. المصدر نفسه ، ص512.
17. محمد مدور، الأفعال الكلامية في القرآن الكريم، سورة البقرة دراسة تداولية، رسالة دكتوراه مخطوطة ، جامعة الحاج لخضر، باتنة ، الجزائر ، 2014/2013 ، ص9.
18. فدوى طوقان ، الديوان ، ص514.

19. المصدر نفسه ، ص511.
20. المصدر نفسه ،ص515.
21. خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية ، مقاربة بين التداولية و الشعر ، دراسة تطبيقية ، بيت الحكمة للنشر و التوزيع ، الجزائر ، ط1 ،2012م ، ص149.
22. كلاوس برينكر ، التحليل اللغوي للنص، مدخل إلى المفاهيم الأساسية و المناهج، تر: سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار للنشر و التوزيع ، القاهرة ، مصر ، ط1 ، 2005م ، ص112.
23. فدوى طوقان ، الديوان ، 516 .
24. المصدر نفسه ، 517.
25. فان دايك، النص و السياق ،ص266.
26. خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مقاربة بين التداولية و الشعر ، ص151.
27. فدوى طوقان ، الديوان ، ص513.
28. المصدر نفسه ، ص513.
29. المصدر نفسه ، ص513.
30. خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مقاربة بين التداولية و الشعر ، ص142.
31. ينظر: كلاوس برينكر ، التحليل اللغوي للنص ، ص175.
32. فدوى طوقان ، الديوان ، ص514.